مراجعة كتاب..

نظرة على كتاب فانسان لومير:

«تحت وطأة الحائط حارة المغاربة في القدس: حياتها وموتها (1187-1967) ما بين القريظ والنقد

مراجعة : يوسف سعيد النتشة

مدير مركز دراسات القدس/ جامعة القدس[1]

تاريخ النشر : 2026/03/20 (العدد (30) ، ربيع 2026)

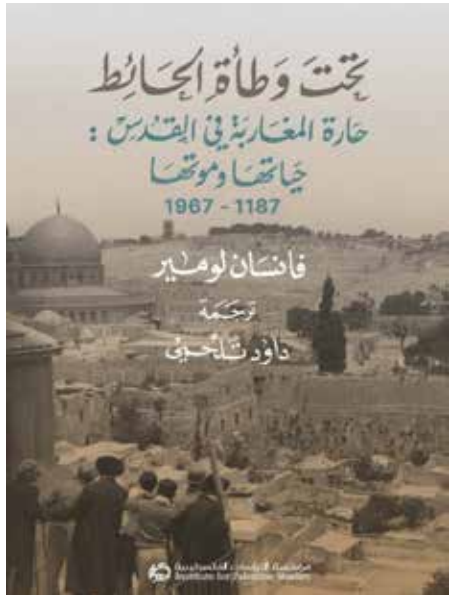

غلاف الكتاب المترجم (485 صفحة)

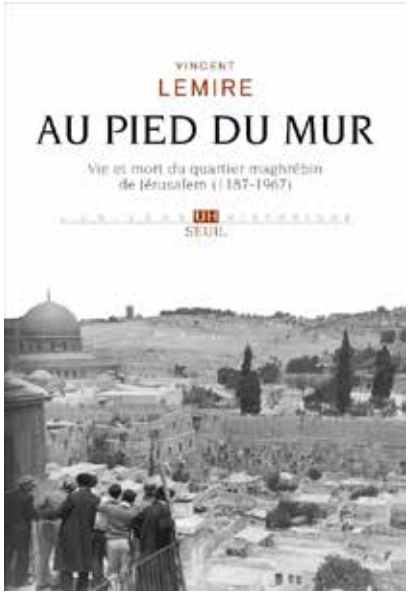

غلاف الكتاب الأصلي (بالفرنسية)

(**pages** 416)

على هامش ندوة متخصصة بعنوان «تاريخ حي المغاربة» في القدس (النتشة ، 2026) ، عُقدت بالإنجليزية في مدينة القدس في المركز الثقافي الفرنسي في 2026/1/17 ، بمشاركة كلٍّ من فانسان لومير ويوسف سعيد النتشة ، وبتنظيم مشترك بين المركز الثقافي الفرنسي ومركز دراسات القدس في جامعة

(1) أودّ أن أشكر صديقي محمود جميل أبو عيد ، للفت نظري إلى مراجعةٍ أليكس شتاين (Stein, 2023) ، حيث لم تكن مجرّد إشارة مرجعيّة بقدر ما أثارت حوارًا وتبادلًا للأفكار ، ساهم في إثراء المراجعة .

القدس . تم توقيع النسخة العربية من الكتاب المذكور أعلاه للمؤلف فانسان لومير[1] ، وقد ترجمه من الفرنسية الى العربية داود تلْحمي ، مع تدقيق وتحرير لغويّين من قبل يرمين عبّاس . وصدر الكتاب عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت سنة 2024 ، مع التنويه بأن دراسات المؤسسة «تعبّر عن آراء مؤلفيها ، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها» .

يقع الكتاب في (485) صفحة من القطع المتوسط -حجم (17X24)- خُصّص منها (129) صفحة للحواشي ، والمراجع ، وفهارس الأعلام والأماكن ، والفهرس العام . وقُسّم الكتاب ، بعد مقدمة غطّت (17) صفحة ، وبعد توطئةٍ تتعلق بالركيزةِ القانونيةِ لحارةِ المغاربة ، الى ستة فصول زُوّدت بـ (56) لوحة بالأبيض والأسود .

يُكمِل الكتاب حلقاتٍ ناقصة من تاريخ حارة المغاربة في القدس ، لا سيما فيما يتعلّق بعلاقة القنصلية الفرنسية في القدس وحارة المغاربة . وكل من يطّلع او اطّلع على الكتاب يلمس سعة المصادر خاصة الأرشيفية وتنوّعها من فلسطينية وعثمانية وفرنسية وإسرائيلية ، إضافة الى أرشيفات الأديرة ومؤسسة الصليب الأحمر ، وشهادات من مغاربة القدس . وقد نجح المؤلف في إعادة تسليط الضوء على الحارة ، وتتبع عمليات الهدم ، ومن ثم تشتيت الجالية المغربية ، ضمن سياقٍ أوسع يتصل بالحارة وحائط البراق الشريف .

حقّا ، إن هذا الكتاب يحتاج الى مراجعةٍ دقيقةٍ ومستفيضةٍ ، علاوة على ما نُشر من مراجعاتٍ مقتضبة باللغة العربية (يُنظر على سبيل المثال : تماري ، 2025 ؛ الشايب ، 2025) ، غير أن مجال هذه الورقة لا يتّسع لذلك . وليس هدف هذه المراجعة الموجزة أن تُكرّر او تتقارب مع ما نُشر من مراجعاتٍ[2] او أخبار ترويجية[3] أو صحفية عن الكتاب ، غير أن من الواضح أن نظرة مقتضبة بالقطع لا

(1) أستاذ التاريخ في جامعة باري-إيست/ غوستاف-إيفل (Paris-Est / Gustave-Eiffel) ، وهو مدير مشروع «القدس المفتوحة الأوروبي» . نشر لومير عدّة كتب عن القدس ، تتعلّق بالتاريخ المائي (سنة 2013) ، والقدس 1900 : زمن التعايش والتحوّلات (سنة 2013) ، وتاريخ القدس (سنة 2022) .

(2) يُنظر ، على سبيل المثال : مراجعة أليكس شتاين لنسخة الكتاب التي صدرت بالإنجليزيّة عام 2023 ، والتي ، رغم اعترافه بأنّ هدم الحارة كان عملًا تراجيديًا ، إلّا أنّ المراجعة تُركّز على مظلوميّة اليهود من قبل الإمبراطوريّات المتعدّدة ، في عدم إتاحة الفرصة لهم للصلاة في مكان عبادتهم (أي موقع الأقصى المبارك) . في الواقع ، إنّها مراجعة سياسيّة متحيّزة ضيّقة ، فيها لوم ليس في مكانه ، لأنّ موضوع الكتاب لا يسمح بالتوسّع في بحث موقف القوى الحاكمة في القدس تجاه صلاة اليهود بعد عام 70م (Stein, 2023) .

(3) يُنظر الإعلان الترويجيّ لشركة أمازون عن الكتاب : https://www.amazon.com/Shadow-Wall-Je-rusalems-Maghrebi-1967-1187/dp/1503615391

تُعطي الكتاب حقه من التقريظ والمراجعة والنقد ، إيجابا أو سلبا .

وعلى جلالة ما يضُمّه الكتاب من معلوماتٍ أرشيفية ، ونظرة تحليلية ، ومتابعة تاريخية امتدّت لعدة قرون منذ بوادر تأسيس الحارة في الفترة الايوبية 1187م وحتى سنة 1967م ، وما خصّصه الكاتب من جهد ووقتٍ واستنطاق لوثائق الأرشيفات المتعددة على مدى خمس سنوات من عمره ، ولا سيما الأرشيفات الفرنسية منها ، فإن هذه المراجعة ستتركّز على نقاطٍ أساسية ، هي : عنوان الكتاب ، وعلاقة الحارة بحائط البراق والاسم المعتمد له في الدراسة ، وموقفه من الدراسات العربية التي تناولت حارة المغاربة وحائط البراق الشريف ، والبعد المعماري والتخطيط الحضري لما بعد الهدم في حزيران 1967م .

إن أول ما لفت نظري في الكتاب هو العنوان . ونحن في فلسطين نقول :» اقرأ المكتوب من عنوانه» . فالعنوان يتناقض مع ما دلّل عليه وأثبته الكاتب ، ذلك أن الحارة رغم ما مرّت به – شأنها شأن غيرها من حارات القدس- من أزمات وتراجع ، فإنها لم تمت ، على الأقل بالمعنى الطبيعي : وكان الأجدر تمثيلاً للواقع أن يكون العنوان : «تحت وطأة الحائط : حارة المغاربة في القدس ، حياتها **وهدمها** 1187–1967 ، أو «تدميرها» او أي تعبير ينقل الواقع ويعكس ما جرى من تراجيديا إنسانية ومعمارية وعمرانية ليلة 10–1967/6/11 .

فالموت ، كما هو معروف ، يعني اختفاءً أو زوالًا طبيعيّا ، والموت حتّمي ومقبول على صعوبته ، وهذا يناقض الواقع الذي يتناوله الكتاب ؛ إذ إن تدمير الحارة لم يكن صدفة ولا فعلاً عفويّا ، بل جرى- كما ثبت- بشكل متعمّد ومخطّط له ، ولم يكن للحارة وأهلها دور في حرب عام ١٩٦٧م . وعليه ، فإن توصيف ما حدث ب «موت الحارة» يتناقض مع الطبيعة السياسية المتعمّدة التي نفذتها السلطات الاسرائيلية ، ولذلك فان اختيار كلمة «الموت» ينطوي على قدر من التساهل والتخفيف ، ولا أريد ان أقول «التضليل» ، إذ أفترض حسن نية المؤلف الذي خصّ القدس بجليل أبحاثه .

في هذا السياق ، فإن هدم حارة المغاربة كما عبّر عنه كاتب هذه السطور (حاشية1) :» **لم يكن نهاية تاريخها ، بل بداية مرحلة جديدة من التحوّل المكاني**» .

وفي موضوع الأسماء والمسميات ، وهي مسألة تكتسب حساسيةً مفرطة في فلسطين ، بل في الأراضي المقدسة عمومًا ، ولم تكن في يوم حيادية ، كما أشار وايتلام (وايتلام ، 1999 ، ص : 287 ؛ النتشة ، 2019 ، ص : 40–41 ؛ النتشة ، 2024 أ)[1] ، اذا تتصل بالهوية والملكية

(1) وكحالة خاصّة يُنظر : النتشة ، 2024 .

والأحقية ، فإن الكاتب تعامل مع هذه المسألة بحساسيةٍ وحذر شديديْن . فقد ورد في العنوان لفظ «الحائط» ، دون تعريف ، غير أن المؤلف ما لبث في المتن ان تبنّى تسمية «الحائط الغربي» ، التي وردت في سياق متن الكتاب أكثر من (125) مرة ، في حين أن التسمية العربية الإسلامية المعتمدة طيلة أربعة عشر قرنا ، وهي «حائط البراق الشريف» ، لم تذكر الا (13) مرة . وبخصوص تسمية «حائط المبكى» ، فقد وردت (27) مرة ، كما أورد الكاتب تسميات أخرى مثل «حائط الدموع» (الكتاب ، ص : 9 ، 116) ، و«حائط المغاربة»[1] (الكتاب ، ص : 140–145) ، بوصفها مسميات غير شائعة .

اجتهد لومير في بيان الركيزة القانونية لحارة المغاربة واعتمد على الحجج والوقفيات ، خاصة وقفية أبو مدين الغوث ، صاحب وقف بلدة عين كارم ، ويُحسب له ذلك . غير ان ما يلفت النظر ، أنه بالكاد تناول تقرير اللجنة الدولية المقدّم الى عصبة الأمم المتحدة بشأن حائط المبكى ، الصادر في 1930/12/18 ، وهو تقرير بالغ الأهمية يضمّ تفاصيل وشهادات تاريخية وميدانية ، وانتهى الى تثبيت ملكية المسلمين للحائط . إذا اقتصر ما ذكره المؤلف (الكتاب ، ص : 114) على خلاصةٍ سوّى فيها بين ملكية المسلمين للحائط ، وبين توصية بضرورة توفير ممرٍّ آمن لليهود لممارسة عبادتهم ، مع تحفّظه على ذلك واعتباره ان هذا : «قرار يعبّر بامتياز عن تناقضات الانتداب البريطاني في فلسطين ، وهي التناقضات التي ستقود الى مواجهات حتمية» .

ولا شك في أن خبرة لومير التاريخية والأكاديمية المتراكمة تؤهله لتقدير أهمية هذا التقرير بوصفه وثيقة قانونية دولية نظّمت الملكية والمرور والعبادة . ويمكن فهم هذا الاختزال باعتباره خيارًا منهجيّا للمؤلف ، غير أنه يترك فجوةً تحليلية لا تربط بين الاعتراف القانوني بالملكية وبين ما فُرض لاحقًا من مشاريع عمرانية في الموقع ، ولا سيما في مدينة ما تزال ، وفق القانون الدولي ، مدينةً محتلة ، رغم ما أصاب هذا القانون الدولي الذي تآكل ، خاصة بعد أحداث 7 أكتوبر 2023 . ويبدو لي أن لومير تعمّد عدم التوسّع في هذا التقرير ، تجنّبًا للانزلاق الى نقاشٍ قانوني وسيادي بالغ الحساسية ، قد يُفسر بوصفه تدخلاً أكاديميا في موضوع سياسي يثير عاصفة من الاعتراضات .

ومن أبرز مميزات الكتاب غنى حواشيه وإشاراته المرجعية ، التي شغلت نحو (61) صفحة ،

(1) هذه التسمية تبنّاها ماسينيون (2015) ، لكن لم يُكتب لها الشيوع ؛ عنه باختصار ، يُنظر : ص : 136 وما يليها من كتاب لومير قيد المراجعة .

وسعة مصادره الأرشيفية ومراجعه البحثية وعمقها ، التي امتدت على 22 صفحة ، وهو ما يعكس عملاً أكاديميًا رصينًا ونَفَسًا طويلاً . غير أن مما يُؤخذ عليه عدم التوازن في المراجع ؛ إذ إن معظمها غربي ، واعتمد على عشرة مراجع عبرية ، فيما لم يورد سوى ثمانية مراجع باللغة العربية . ومع أنه أشار في قائمة المصادر الأجنبية الى أعمال منسوبة لكل من : عبد اللطيف الطيباوي ، وسليم تماري ، وتوم عبود ، فإنه أغفل مراجع عربية أساسية ، مثل كتابات المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي (التازي ، 1981)[1] ، ورسالة الدكتوراة لعبد الرحمن المغربي (المغربي ، 2000)[2] ، وما كتبه موسى سرور (سرور ، 2018 ؛ Sroor, 2018) ، ولا سيما فيما يتعلق بوقف عين كارم وحارة المغاربة ، رغم ان بعض هذه الأعمال متوافر بالفرنسية ، وهذه أمثلة على سبيل المثال لا الحصر .

ويُحسب للوميز استعانته بدراسة الزميل نظمي الجعبة حول حارة المغاربة ، وما تضمّنته من جهد علمي ، غير ان المقارنة بين ما كتبه الجعبة– ولا سيما ربطه بين حارتي المغاربة واليهود في القدس– ، وبين عدم توسّع لوميز في تحليل تمدّد حارة اليهود على حساب حارة المغاربة ، تكشف مفارقة متوقعة بين كتابة المؤرخ المحلي لتاريخه ، وكتابة المؤرخ المنتمي الى ثقافة غير محلية ، حتى وإن سعى إلى الالتزام بالحياد .

ومع ان عنوان الكتاب يوحي بأن الدراسة تتوقف عند سنة 1967م ، فإن المؤلف يتناول قضايا لاحقة لهذا التاريخ ، حيث بحث في الفصل السادس «بعد الكارثة : جمع الآثار ، توثيق الزوال» ، غير أنه لا يتابع المشاريع المعمارية المتسارعة التي أقيمت بعد الهدم ، مثل مبنى شتراوس ، ومبنى الجوهر ، ومجمع كيديم ، فضلاً عن استمرار الحفريات ، كما يغيب عن الكتاب التطرق الى مشاريع مطروحة منذ عدة سنوات ، من بينها معروض على مكتب رئيس الوزراء يستلهم بعض ملامح خطة يورام زاموش[3] ، ويشمل بناء كنيس على أرضية

---

(1) اعيدت طباعة هذا الكتاب أكثر من مرّة . يُنظر مراجعة عنه في موقع الجزيرة نت :

https: //www. aljazeera. net/history/20259/8//

(2) رسالة دكتوراة تناولت تاريخ طائفة المغاربة وأوقاف في القدس خلال الفترة الصليبيّة والمملوكيّة .

(3) عُرف عنه أنّه مرتبط بالصهيونيّة الدينيّة وقضيّة بناء الهيكل ؛ وقيل إنّه كان من ضمن من رفعوا العلم الإسرائيلي على قبّة الصخرة . اقترح مخطّطات وتصاميم معماريّة لإعادة صياغة المشهد المعماري في ساحة البراق ، بتكلفة تتجاوز مئات الملايين من الدولارات ، منها : إنشاء كنيس يهودي في ساحة

حائط البراق الشريف ، يعلو المدرسة التنكزية ويّشرف على المسجد الأقصى المبارك (لمزيد من التفاصيل ، يُنظر : النتشة ، 2024 ب) .

فالخطر الكامن في هدم حارة المغاربة وكشف حائط البراق ، لا يتمثّل فقط في النفي الاجتماعي لسكان الحارة ، أو بفقدان المباني التاريخية فحسب ، بل في الإنتاج المنهجي لواقع حضري جديد قائم على المحو ، لقد أطلق تدمير الحارة مسارًا طويل الأمد أُعيدت خلاله صياغة الفضاء ، وتوجيهه ، وتسخيره لخدمة نظام سياسي ورمزي جديد . وفي ضوء المصطلحات الحديثة المتداولة حول «الإبادة المعمارية»[1] في غزة ، فإنه يمكن النظر إلى ما جرى في حارة المغاربة بوصفه نهجًا مبكرًا من هذه الإبادة ، وإن كان بحجم ومقياس أصغر ، لكنه أسبق زمنًا ، ولم يُلْتَفَت اليه آنذاك بالوعي النقدي الذي نشهده اليوم .

لا يمكن فهم ما نفذ من هدم في حارة المغاربة وساحة حائط البراق الشريف بمعزل عمّا أقيم من مشاريع معمارية ضمن خطط مستمرة تتدعي الاستدامة[2] ، مثل مشاريع الانفاق والحفريات ، ومسار حديقة الملك ، ومشروع القطار الهوائي ، ومخططات اخلاء سلوان ، ومشروع المعبد الرقمي (للمزيد حول هذا المشروع ، يُنظر : Natsheh, 2003) ، فضلا عن سياسة القبضة الحديدية على المسجد الأقصى ، وتآكُل الوصاية الأردنية الهاشمية الملكية ، فهذه المشاريع تهدف الى تقزيم المسجد الأقصى بوصفه مشهدا مهيمنًا على فضاء البلدة القديمة ، وتحيله الى جزيرة صغيرة محاطة ببحر من المشاريع الإسرائيلية التي لم تتوقف منذ لحظة الهدم .

حائط البراق بارتفاع تجاوز مبنى قبّة المدرسة التنكزيّة المطِلّة على المسجد الأقصى المبارك . نُشرت المخطّطات في كتاب باللغة العبريّة عام 2007 ، مع تقدير بالتكلفة المبدئيّة (zamosh@012.net.il) . ، ويُنظر : شبكة الجزيرة ، تعرّف على مشروع زاموش لبناء الهيكل ، أخبار سياسة :

https: //www. aljazeera. net/politics/2016/5/29/ تعرف-على-مشروع-زاموش-لبناء-الهيكل

(1) أثار السابع من أكتوبر وما تلاه من احداث عقد عدة ندوات تبنت مصطلح «الإبادة المعمارية ، Urbicide, Architectural Genocide ، نشير الى ما تم الإعلان عنه عبر الفيس بوك من قبل مدى الكرمل (Mada al-Carmel) .

(2) الأصل في الاستدامة (Sustainability) تحقيق توازن لمدة طويلة بين البيئة والمجتمع والاقتصاد ، وهذا لا يشمل المجتمع الفلسطيني المقدسي . وعليه ، فاستمرارية (Continuity) المشاريع تهدف لتحقيق استدامة لصالح المجتمع الإسرائيلي فقط .

وختاما ، فإن ما ورد أعلاه من ملاحظات على جهد لومير لا ينتقص من القيمة العلمية للكتاب ، ولا من الجهد المضني الذي بذله المؤلف في تتبع وثائق الحارة الموزعة على عدة ارشيفات متعددة يصعب الوصول إليها . ان هذه الملاحظات تنبع من الاحترام والتقدير الشخصي للمؤلف ، ومن محبته لمدينة القدس التي سخّر لها مجموعة أبحاث يفخر بها . ولعله من الإنصاف القول ان البحث في هذا الموضوع شديد التعقيد ، لأنه موضوع ما زال حيّا تتداخل فيه السياسة بالتاريخ وبالمصالح المتشابكة ؛ والكتابة فيه تشبه الى حدّ بعيد ، محاولة الدخول إلى عشّ الدبابير دون أن ينال الكاتب لَسعها .

المصادر والمراجع

أولًا : العربية

التازي ، عبد الهادي (1981) . أوقاف المغاربة في القدس ، وثيقة تاريخية سياسية قانونية . المحمدية – المغرب : مطبعة فضالة .

تمّاري ، سليم . (صيف 2025) . مراجعة كتاب «تحت وطأة الحائط ، حارة المغاربة في القدس : حياتها وموتها (1967–1187) . **مجلة الدراسات الفلسطينيّة** . العدد 143 . ص : 287–289 .

سرور ، موسى . (2018) . «السياسة الفرنسيّة تجاه أوقاف المغاربة في القدس : دراسة حالة وقف قرية عين كارم 1948–1962» ، في «الأوقاف الإسلاميّة في القدس . تحرير عزيز العصا وآخرون ، القدس : الهيئة الإسلامية العليا بالقدس . ص : 323–3400» .

الشايب ، يوسف . (2025/05/30) . «تحت وطأة الحائط» : كشف التاريخ المطمور لحارة المغاربة بالقدس» . في موقع «**العربي الجديد – ضفّة** 3 . يُنظر الرابط الآتي (شوهد في 2026/02/03) .

https: //diffah. alaraby. co. uk/diffah/books/2025/5/30/ تحت–وطأة–الحائط–كشف–التاريخ–المطمور–لحارة–المغاربة–بالقدس

ماسينيون ، لوي . (2015) . وثائق عن اوقاف الاماكن المقدسة في الاسلام – وقف التميمي في الخليل وابو مدين في القدس . ترجمة : مي محمود . روما–إيطاليا : منشورات المتوسط . .

المغربي ، عبد الرحمن . (2000) . بعنوان «طائفة المغاربة في القدس الشريف 492–922هـ / 1099–1516م» . **رسالة دكتوراة غير منشورة** . القاهرة : جامعة عين شمس .

النتشة ، يوسف . (2026/01/21) . « يحذّر من خطورة المشاريع المستقبليّة لتهويد الحارة وساحة البراق : د . يوسف

النتشة ، يوسف . (2024 أ) . «عبرنة وأسرلة الأسماء : أداة سياسيّة لطمس المواقع العربيّة : إطلاق اسم «هدار وهداسا» على درجات باب العمود» . في «حماية وحفظ التراث في العالم العربي : الواقع والتحدّيات والآفاق ، كتاب جماعي تحت إدارة المهندس المعماري هادف سالم ، والأستاذ الدكتور نجم ظاهر ، ورئيس التحرير الأستاذ الدكتور طارق نازل ، طبعة الجزائر ، ص : 158–173 . https://tourathouna.org/

النتشة ، يوسف (2024 ب) . «إزالة المشهد المعماريّ التاريخيّ العربيّ الإسلاميّ لحارة المغاربة وحائط البراق الشريف في القدس» . القاهرة : **مجلة الاتّحاد العام للآثاريّين العرب** ، عدد خاص لِـ «سنان باشا العصر» ، المعماريّ المعلّم والمرمّم الدوليّ أ . د . صالح لمعي . ص : 212–242 .

النتشة ، يوسف . (2019) . الحفريّات والأنفاق الإسرائيليّة في القدس منذ عام 1967 . الرباط : منشورات وكالة بيت مال القدس الشريف .

وايتلام ، كيث . (1999) . اختلاق إسرائيل القديمة : إسكات التاريخ الفلسطيني . ترجمة سحر الهنيدي . الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، العدد (249) .

ثانيًا : الأجنبية

Sroor, Musa. (2018). Le contentieux franco-israélien à propos des biens waqfs maghrébins à Jérusalem 1948–1967, Annuaire **Droit et Religions**, Université d'Aix-Marseille. vol. 9, 2017–2018, pp: 25–45.

Stein, Alex. (November 2023). Book Review, In the Shadow of the Wall, The Life and the Death of Jerusalem's Maghrebi Quarter 1187–1967. In **Fathom Journal**. https://fathomjournal.org/book-review-in-the-shadow-of-the-wall/

Natsheh, Y. (Fall 2003). "The Digital Temple, a critical review of Itan and Miriam Davidson in Jerusalem. In **Jerusalem Quarterly File**, #19. Jerusalem pp: 5358–.